

مواقف دول الشام

إسراء عمران

السياسي البعد القيمي المشترك، الذي يمثل قاسماً مشتركة أساسياً بين بلدان وشعوب وحكومات العالم الإسلامي. هذا البعد القيمي النابع من الواقع الإيماني الحضاري الذي يعكس تفاعلاً مشتركاً يفرض على كل فرد في أمتنا التعايش والتلامس كالجسد الواحد الذي إذا اشتكت منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى والذي يعكس مسار رؤيتنا لحدث الهجوم الإسرائيلي الغاشم على غزة وملابسات إدراك وتفاعل العالم الإسلامي معه، ويمكن تناول ذلك عبر مستويين بالأساس:

- 1- مستوى التفاعل غير الرسمي مع أحداث غزة وهو ما نعبر به عن مستوى العلاقة بين الشعوب العربية الإسلامية، تضامناً أم تخاذلاً مع جزء منها يتعرض للعدوان وهو أهل غزة، والتساؤل عن ماهية هذه العلاقة هل هي علاقة إنسانية فقط أم سياسية فحسب أم حضارية كمعنى كلي شامل لروابط العلاقات بين أفراد هذه الأمة؟.
- 2- مستوى التفاعل الرسمي لحكومات هذه البلدان (لبنان، سوريا، الأردن) ومدى إدراكاتها للبعد الحضاري بمعناه الشامل الإنساني والسياسي والقيمي في التفاعل مع أحداث غزة وبما يفرضه من تفاعل إيجابي رافض للاستسلام والانهزام أمام البطش والعدوان والطغيان وتفاعل إيجابي مُطالب بالتأثير الحضاري البناء بما يعكس وجود تعايش حضاري حقيقي منافٍ لمحاولات الهيمنة الحضارية.

ومن ثم فإننا في هذه الورقة نركز على محورين: أما أولهما فنرصد خلاله واقع التفاعل غير الرسمي وال رسمي، وأما الثاني

يمثل العدوان الأخير على أرض غزة منذ ٢٧ من ديسمبر ٢٠٠٨ حتى ٢٢ من يناير ٢٠٠٩ حلقة من سلسلة العدوان المستمرة ببقاء الأمة الإسلامية وعلى أصعدتها الحضارية كافة: السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية، منذ أكثر من قرن من الزمان. وإن كان نصف القرن الأخير قد شهد تراجع الظاهرة الاستعمارية المباشرة لصالح ظاهرة الهيمنة والاستبعاد، وبقاء عدد من البقاع تحت الاحتلال وبالخصوص فلسطين والقدس الشريف. كما يأتي هذا الهجوم على غزة في وقت الأمة الإسلامية فيه معتلة مع استمرار مواقف التواطؤ والخذلان والتشييط والتعويق، وإن كان مازال هناك طاقات نصرة ومساندة ومقاومة كامنة في الشعوب الإسلامية تدافع بها سياقاتها المحلية والإقليمية والدولية؛ بغية حماية الصمود والانتقال به نحو حفظ الذات وجلب درجات معينة من النصر، تعمل على حد الحكومات الإسلامية للتعايش المادي والمعنوي المؤثر والفعال مع صمود أهل غزة. ومن هنا تأتي أهمية الملف الغزاوي للكشف عن مواقف الشعوب الإسلامية وحكوماتها من الهجوم العدوانى الشرس والمتكرر على أهالي الأرضي المحتلة خاصة في إطار العدوان على غزة في ديسمبر ٢٠٠٨ - كآخر عدوان شرس على غزة في الآونة الراهنة.

محور الشام: (سوريا، الأردن، لبنان)

إن الحديث عن تأثير وتفاعل البلدان الإسلامية مع العدوان غزة ليس حديثاً يعكس تفاعلاً إنسانياً وتفاعلاً سياسياً أو مصالح مشتركة تتأثر بهذا الحدث فحسب، وإنما يعكس كذلك حديثاً حضارياً شاملًا يأخذ إلى جانب البعد الإنساني والبعد



ثمة تشابه على المستوى الرسمي لسوريا والأردن ولبنان في التفاعل مع الأحداث الأخيرة للعدوان الفاشم في غزة وتشابه كذلك بينهم على المستوى غير الرسمي

مستوى مماثل المجتمع المدني والاحزاب

وجه لقاء الأحزاب والقوى والشخصيات اللبنانية تحية إكبار وإجلال للمقاومين الصامدين في قطاع غزة الذين تمكنوا من إحباط أهداف العدوan وإلحاق الهزيمة مجدًا بالجيش الإسرائيلي الذي حاول استعادة قوته الردعية من خلال ارتکاب المجازر وقتل الأطفال والنساء واستخدام الأسلحة المحرمة دوليًّا، لكنه فشل في ذلك، وبدأت قيادته السياسية تعيش حالة من الانقسام والتخييب والإحباط وتبث عن مخرج سياسي تمامًا كما حصل إثر فشل عدوan تموز عام ٢٠٠٦. وأعلن اللقاء مجددًا دعمه ووقوفه إلى جانب المقاومة البطلة من أجل استكمال إنجاز الانتصار الميداني سياسياً عبر منع محاولات إعطاء العدو مكاسب أخرى من قبل بعض الدول العربية المتواطئة من خلال دورها التخاذل في منع عقد قمة عربية لعرقلة اتخاذ موقف عربي يلجم العدوan الصهيوني. ودعا اللقاء الحكومة اللبنانية إلى اتخاذ الخطوات السياسية والعملية اللازمة لدعم صمود وانتصار المقاومة في غزة عبر الإصرار على المشاركة في القمة العربية، وعدم التجاوب مع محاولات مقاطعتها. والعمل على ممارسة الجهد من أجل سحب المبادرة العربية للسلام مع الكيان الصهيوني، والمطالبة بقطع جميع العلاقات مع هذا الكيان الغاصب والعدواني. وقد قرر اللقاء في إطار تحركاته لنصرة الشعب الفلسطيني مقاومته، وتندیدًا بال موقف الدولي المتخاذل، وخاصة مجلس الأمن الدولي، الاعتصام في ساحة رياض الصلح بالتزامن مع زيارة الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون إلى بيروت، وذلك يوم السبت ١٧/٩/٢٠٠٩.^(٦) كما عُقد لقاء تشاوري في مركز نقابة المحامين في بيروت، ببحث موضوع العدوan الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني في غزة، وما يمكن القيام به لللاحقة إسرائيل أمام الهيئات القضائية الدولية والهيئات المتخصصة وحضر الاجتماع نقيب المحامين رمزي جريج، والنائبان بهيج طبارة وروبير غانم، والنقيب السابق شكيك قرطباوي، وأمين سر مجلس النقابة أحمد صفروف، وعضو مجلس النقابة حسين زبيب والمحاميان فادي كرم والدكتور رزق زغيب الذين اتفقوا على «التنسيق مع هيئة تحدث القوانين في المجلس النيابي، والمشاركة في اللجنة

فناحوال من خلاله تحليل وتقدير واقع هذا التفاعل في إطار الرؤية الحضارية.

المحور الأول: رصد التفاعل غير الرسمي والتفاعل الرسمي لكل من (لبنان، سوريا، الأردن) مع الحدث، على سبيل المثال لا الحصر:

المستوى الأول: التفاعل غير الرسمي، ونرصد خلاله تفاعل الشعوب كأفراد وكتخب مع أحداث غزة، وذلك برصد التفاعل الجماهيري عبر أشكال التعبير عن الرأي العام، وبرصد التفاعل النخبوi لمؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات الأكاديمية بالنظر إلى أنها مؤسسات تعمل على التأثير على الرأي العام عبر فهم واع للأحداث بالرغم من عدم قدرتها على التأثير في دائرة اتخاذ القرار السياسي بشكل مباشر في هذه البلدان.

أ- التفاعل الشعبي والنخبوi في لبنان:

نظم لبنانيون وفلسطينيون ونظاميون في العديد من الاراضي اللبنانية احتجاجاً على الهجوم الإسرائيلي البري على قطاع غزة - فقد دخلت دبابات وقوات مشاة اسرائيلية هجوماً برياً على قطاع غزة مساء السبت ٣ من يناير- بعد ثمانية أيام من الغارات الجوية الدمرة التي أسفرت عن سقوط أكثر من ٤٠ قتيلاً تشير الأمم المتحدة إلى أن ربعهم من المدنيين^(١). كما عمت المظاهرات مناطق لبنانية عدة، وخصوصاً في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، نددت المظاهرات بالعدوان الإسرائيلي المتواصل على سكان القطاع، وطالب المتظاهرون الدول العربية بتسليح المقاومة ودعمها، كما طالبوا الرئيس المصري حسني مبارك بفتح معبر رفح والسماح للمتطوعين بدخول القطاع لمناصرة المقاومة الفلسطينية^(٢). وقد اشتغل متظاهرون يساريون في منطقة عوكر شمال بيروت مع القوى الأمنية عندما حاول المتظاهرون إزالة الأسلاك الشائكة التي تحيط بالسفارة الأمريكية في لبنان، وطالب متظاهرون يرددون شعارات مناوئة للولايات المتحدة وإسرائيل ويحملون أعلاماً لبنانية وفلسطينية وأحزاب يسارية باغلاق السفارة الأمريكية^(٣). بينما نظم طلاب اعتصاماً في الجامعة اللبنانية الأمريكية ببيروت^(٤). كما انطلقت مظاهرة في بيروت باتجاه مبني الأمم المتحدة (الاسكوا) جابت شوارع العاصمة بدعة من حركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية (حماس) والجماعات الإسلامية، وعبرت أحد المتظاهرات نهى عبد الحليم في الثلاثاء من العمر «أتيت إلى هنا تضامناً مع أهل غزة لنشدّ على أيديهم ليصمدوا أكثر ولقول لهم إننا لن تركهم ولنقول لهم: لا صلح لا تفويض لا تفريط بالأرض والحدود، وستنتصر غزة»^(٥).

إسرائييل على أرض فلسطين، وكذلك السكوت عن استمرار احتلالها للأراضي العربية في فلسطين، ومخالفتها قرارات الشرعية الدولية، وقيامها ببناء المستوطنات في الأراضي العربية المحتلة، وجدار الفصل العنصري، والحصار المفروض على غزة، وإغلاق المعابر، وبتأييد ودعم من الإدارة الأمريكية، كل ذلك شجع إسرائيل على التمادي في عدوانها على الشعب الفلسطيني.

وأكد المحامون السوريون التزامهم بالخط الوطني والقومي وبالفكر النضالي وبثقافة المقاومة، معلنين إدانتهم للعدوان الإسرائيلي الهمجي ووقوفهم وتضامنهم مع الشعب الفلسطيني وتقديم الدعم المادي والمعنوي وفتح باب التبرعات، مناشدين المجتمع الدولي وجميع المنظمات الحقوقية العربية والدولية ومنظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، العمل على إدانة العدوان الإسرائيلي الهمجي على أهلنا في غزة، والسعى لوقفه فوراً، ورفع الحصار عن الشعب الفلسطيني. ويطالبون قادة الدول العربية بالتحرك الفوري لعقد قمة عربية طارئة لاتخاذ موقف عربي موحد لوقف هذا العدوان الوحشي غير المسبوق، ورفع الحصار الجائر عن أهلنا في غزة وفتح المعابر، وخاصة معبر رفح، وحماية الشعب الفلسطيني، وإلزام إسرائيل بتطبيق قرارات الشرعية الدولية وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية المحتلة في فلسطين ولبنان والجولان^(١٢).

جـ- التفاعل الشعبي والنخبوi في الأردن:

احتشد الآلاف من الأردنيين أمام مقر الحكومة الأردنية في عمان، وطالبوa بضرورة اتخاذ قرار فوري يقضي بإلغاء معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية وطرد السفير الإسرائيلي من عمان واستدعاء السفير الأردني من تل أبيب، وذلك على خلفية العدوان الإسرائيلي المتواصل على قطاع غزة. وخرج المتظاهرون من مجمع النقابات المهنية باتجاه رئاسة الحكومة الأردنية رافعين الأعلام الفلسطينية والأردنية وأعلام الأحزاب المشاركة، إضافة إلى رايات عدد من الفصائل الفلسطينية، لا سيما أعلام حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، إضافة لأعلام حزب الله اللبناني. وهتف المتظاهرون ضد الصمت العربي، كما هتفوا بشدة ضد الرئيس المصري حسني مبارك، والرئيس الفلسطيني محمود عباس، ورفعوا يافطات دعت لاسقاط معاهدة وادي عربة بين الأردن وإسرائيل^(١٤)، وقال أحد المتظاهرين للجزيرة نت: «نحن نزيد من مصر الدولة العربية الكبرى أن تكون على الأقل وسيطًا نزيهًا بين العدو الصهيوني وحركة حماس»، وتتابع: «كنا نتوقع أن تتحاز مصر بعد شلال الدماء والشهداء في غزة لحركة حماس، لكنها اليوم تتحاز للكيان الصهيوني»^(١٥). وجاءت الدعوة للمسييرات تلبية لنداء الاتحاد العالمي لعلماء

المنبثقة من هذه الهيئة من أجل تحضير الشكاوى والمراجعات اللازمة واتخاذ الخطوات العملية بهذا الخصوص^(٧).

بـ- التفاعل الشعبي والنخبوi في سوريا:

احتشد الآلاف من السوريين وسط العاصمة دمشق في مظاهرة أشرف عليها الحكومة السورية، للاحتجاج على استمرار الهجمات الإسرائيلية في غزة. وندد المتظاهرون بتصفيف قطاع غزة وبمواقف الدول العربية وخاصة مصر مما يجري في القطاع، وطالبوa بفتح معبر رفح، وطرد سفير إسرائيل في مصر والأردن. فقد توجه المئات من المتظاهرين إلى مقر السفارة المصرية في دمشق معبرين عن غضبهم الشديد من مواقف الرئيس مبارك، مرددين شعارات وهتافات ضد النظام المصري واتهامه بالعملاء للغرب^(٨)، وتصادم بعضهم مع قوى الأمن السورية التي استخدمت القنابل المسيلة للدموع والهراوات لتفريقهم ومنعهم من الاقتراب من السفارة^(٩). وتواصلت المظاهرات الشعبية العارمة في مختلف المحافظات السورية بمشاركة الفعاليات السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والطلابية والنسائية والأهلية تضامناً مع الشعب الفلسطيني في مواجهة الهجوم الإسرائيلي، مؤكدة دعمها للمقاومة واعتزاها بصمود الشعب الفلسطيني، ومستنكرة للمجازر التي تنفذها سلطات الاحتلال الإسرائيلي والتي تشكل جريمة حرب بحق شعب أعزل؛ حيث حصدت المجازر التي ترتكبها قوات الاحتلال مئات الأطفال والنساء في هذا العدوان^(١٠). كما انتقد المتظاهرون غياب الرادع الدولي وعجزه عن وقف العدوان الإسرائيلي الغاشم وعجز الأمم المتحدة ومجلس الأمن، مطالبين بوقف العدوان الإسرائيلي على غزة فوراً ومحاكمة مجرمي الحرب الإسرائيليين. كما انتقدوا موقف الولايات المتحدة الأمريكية المتحاز لإسرائيل^(١١).

مستوى ممثلي المجتمع المدني والأحزاب

صدر بيان عن الحزب السوري القومي الاجتماعي، استنكر خلاله الدور المتخاذل للأمم المتحدة بشأن الأرضية المحتلة والعدوان على غزة، وعن دور الأمين العام وجذور زيارته إلى المنطقة^(١٢). كما صدر بيان عن نقابة المحامين في الجمهورية العربية السورية مستنكرًا للعدوان الهمجي على أهلنا في غزة. وعبر البيان عن أن ممارسات إسرائيل إنما تمثل جرائم حرب وعدوانًا وإبادة جماعية بحق الشعب الفلسطيني المحاصر في غزة، وعلى مرأى ومسمع من العالم أجمع، وخاصة النظام الرسمي العربي الصامت، مخالفه بذلك القانون الدولي، والقانون الدولي الإنساني، ومبادئ حقوق الإنسان، ونظام روما الأساسي، واتفاقيات جنيف المتعلقة بحماية المدنيين أثناء الحرب، وأن السكوت عن هذا السلوك الإجرامي الذي دأبت حكومة الاحتلال الإسرائيلي على ارتكابه، منذ قيام

المعتصمون بمقاطعة المطاعم الأمريكية. وحمل المعتصمون لافتات كتب على إحداها «فنجان قهوة في ستاربكس يعادل فنجان دم فلسطيني»، كما حملوا صوراً لأطفال فلسطينيين قُتلوا في الحرب الإسرائيلية على غزة متهمين مطاعم ستاربكس بدعم إسرائيل. وهتف الشبان الغاضبون لغزة وطالبوه بطرد السفير الإسرائيلي من عمان وقطع العلاقات مع إسرائيل^(١٩).

مستوى ممثلي المجتمع المدني والأحزاب نظمت النقابات المهنية الأردنية حملة «أغيثوا غزة هاشم لنصرة الأهل والمجاهدين في قطاع غزة»^(٢٠). واتسم احتفال العام الميلادي الجديد بالتضامن مع أهل غزة، «ينما يحتفل العالم بالسنة الجديدة يستقبل أهل غزة عامهم الجديد بالقابل والتبران والدماء، فليكن احتفالنا نحن وقفة تضامن لنجتمع وعائالتنا في الساحة الهاشمية وسط عمان لإضاءة الشموع»^(٢١). وتحت عنوان «كل عام وأطفال غزة بآلف خير» دعت لجنة المهندسات في نقابة المهندسين الأردنيين إلى المشاركة في الاعتصام الكبير الذي أقيم في مجمع النقابات المهنية في الشميساني يوم الخميس ١١/١٢/٢٠٠٩. كما دعا الملتقى الوطني للنقابات المهنية الأردنية وأحزاب المعارضة للمشاركة في المهرجان الوطني الأردني الكبير «لبيك.. يا غزة» وذلك عند الساعة ٢٣ من يوم الجمعة ١٢/١٢/٢٠٠٩ في ستاد عمان الرياضي - المدينة الرياضية^(٢٢). وكانت هناك مبادرات عديدة للدعوة للتبرع باللوازم الغذائية الأساسية وبسيارات الإسعاف المجهزة بالمعدات والتجهيزات الطبية والأدوية والتي تم إرسالها إلى مندوبي وزارة الصحة في الحكومة الفلسطينية في قطاع غزة^(٢٤).

وأقامت مؤسسات المجتمع المدني في منطقة الشيخ حسين يوماً للتضامن مع أهل غزة وذلك في الساعة الواحدة بعد الظهر في موقع ملعب نادي الشيخ حسين في تل الأربعين. وشارك في الفعاليات عدد كبير من الشخصيات والهيئات الأردنية^(٢٥). كما أقامت كلية القدس أسبوعاً للتضامن مع الشعب الفلسطيني في قطاع غزة الصامد الذي واجه الهجوم الصهيوني الوحشي بالصمود والثبات أمام آلته العسكرية الهمجية. وقال عميد الكلية الدكتور مصطفى العدوان إننا نقف إلى جانب أهلنا في قطاع غزة ونطالب الدول العربية بالوقوف إلى جانب الحق الفلسطيني وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف. وتحدث فائق الفرا -نائب العميد للشؤون الإدارية- فقال إن ما جرى في غزة من هجمة صهيونية لا مبرر له إلا فرض الهيمنة الصهيونية على الوطن العربي، ولكن صمود أهالي غزة أكبر دليل على فشل العدوان. وأكد أن الأردن ملماً وحكومةً وشعباً يقف إلى جانب الأهل في غزة الصمود. و Ashtonel المعرض على بوسترات تبين الجرائم الصهيونية على الأبراء والأطفال والنساء^(٢٦). وحضرت الحركة الإسلامية في الأردن الحكومة على تغيير سياستها الخارجية تجاه العدو،

ال المسلمين برئاسة الدكتور يوسف القرضاوي. وقال المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين في الأردن همام سعيد إن ما يحدث في غزة هو «بـ حق معركة الفرقان»، وتتابع «كما كانت بـ معركة فرقان بين الحق والباطل، فإن معركة غزة هي معركة فرقان». ولفت سعيد إلى أن ما يحدث في غزة «ليس معركة بين الفلسطينيين واليهود وإنما هو معركة واضحة بين الإسلام وأعدائه»، واتهم رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس بأنه «مع اليهود»، مشيراً إلى «ثناء وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسبيبي ليفني عليه»، على حد قوله. وقال: «إن قضية فلسطين اليوم انقسمت بين فساطلين، فسطاط النصرة لأهل غزة وفسطاط الخيانة، والعرب انقسموا بين هذين الفساطلين»، كما وجه نقداً شديداً للرئيس المصري حسني مبارك، وقال إن «دماء أطفالنا في عنقك يا مبارك وفي عنق زعماء العرب وأعناق الدول الكبرى». ورفعت في المهرجان لافتات كبيرة «يا حكام البلاد افتحوا باب الجهاد»، و«كم يكفي من الدماء حتى تغلق سفارة الصهاينة». وأحرق المتظاهرون الأعلام الإسرائيلية، كما أحرقوا صوراً لرؤساء عرب، وقام عدد منهم بضرب صورة للرئيس الأمريكي جورج بوش بالأحذية. ومن جهة اعتبر وزير إبراهيم الأردني الأسبق والقيادي في جماعة الإخوان المسلمين زيد الكيلاني أن «محرقة غزة حرقت معها أوسلو والأنظمة المتواطئة معها»، مضيفاً أن معركة الإسلام بدأت وأن ما يحدث في غزة هو بداية لمعركة «الفجر الصادق». وقال «إن المطلوب من هذه الحرب أن يرفع أهل غزة رايات الاستسلام وأن يقبلوا أن يعيشوا في ظل إسرائيل لا أرض لهم ولا جيش»^(٢٧). وخرج الآلاف الأردنيين في ضاحية الرايبة غرب العاصمة عمان من مسجد الكالوت القريب من السفارة الإسرائيلية بعد صلاة الجمعة مرددين هتافات تدعو إلى إزالة السفارة الإسرائيلية وقطع العلاقات مع إسرائيل.

وأثناء محاولة المتظاهرين التقدم نحو مقر السفارة الإسرائيلية، حاول رجال الأمن العام من المتظاهرين الذين أصرروا على التقدم لتقوم قوات مكافحة الشغب بتفریق المتظاهرين عبر إلقاء قنابل الغاز المسيل للدموع وضربيهم بالهراي. واستمرت المواجهات بين رجال الأمن والمتظاهرين حتى مساء الجمعة، وهدمت قوات الأمن خيمة الاعتصام التي أقامها ناشطون للمطالبة بإغلاق السفارة الإسرائيلية. وتحولت المنطقة والشوارع المحيطة بالسفارة إلى ما يشبه «المنطقة العسكرية المغلقة»، حيث رفعت قوات الأمن الأردنية درجة تأهبها ووجودها في محيط السفارة^(٢٨). ومنذ بدء العلاقات مع إسرائيل بموجب اتفاقية وادي عربة عام ١٩٩٤، لم تسمح الحكومة لأي مظاهرة أو اعتظام بالاقتراب من محيط السفارة^(٢٩). ونظم اعتظام أمام أحد فروع مقهى ستاربكس في ضاحية الصويفية الراقية غرب العاصمة عمان، وطالب

لم يستطع التفاعل الشعبي التأثير في القرار السياسي لهذه البلدان وإن أثر على مستوى الخطب والتصريحات السياسية

أ- التفاعل الرسمي في لبنان:

ندد رئيس الجمهورية العماد ميشال سليمان، بالاعتداء على غزة ودان بشدة «المجازر الوحشية التي تُرتكب بحق أهلها»، داعياً الدول العربية إلى «موقف حازم من إسرائيل». كذلك أكد أن لبنان «هو واحة تقاهم الجميع، وليس ساحة للصراعات وتصفية الحسابات». وشدد على أن لبنان «يدعم القضية الفلسطينية المحتلة، وخصوصاً حق الفلسطينيين في العودة إلى منازلهم التي هُجروا منها، مع ما يعني ذلك من رفض للتوطين».^(٣٠). ودعا الرئيس اللبناني إلى «عمل عربي مشترك عاجل للتضامن مع الشعب الفلسطيني وللناظر في السبل العملية الكفيلة بوضع حد فوري لهذا العدوان».^(٣١).

وبالغروم من أن حزب الله لم يتدخل عسكرياً لمساعدة المقاومة في غزة، إلا أن هذا لا يمنع من أن حزب الله قد أخذ موقفاً مسانداً للمقاومة الفلسطينية وندد بالتواءط العربي الذي مهد لهذا الهجوم على غزة. وأصدر حزب الله بياناً دان فيه العملية الإسرائيلية الجارحة في قطاع غزة، معتبراً أن «ما يجري في قطاع غزة هو جريمة حرب إسرائيلية وعملية إبادة جماعية ترتكبها حكومة العدو». ورأى أن هذه المجمّمات «تستدعي تحركاً عاجلاً من قبل المجتمع الدولي ومؤسساته وعلى رأسها الأمم المتحدة ومجلس الأمن تحديداً؛ لأن سكوتهم المريب هو توأطٌ مكشوف مع هذا العدوان». وتتابع أن «لغة الإدانة من قبل الدول العربية وجماعتها لم تعد قادرة على تغطية موقفها السياسي المخزي؛ لأن السماح بمحصار الشعب الفلسطيني هو شراكة في الحصار، بدل أن تقف هذه الدول داعمة لهذا الشعب في جميع الميادين المدنية والعسكرية بما يجعله قادرًا على صد العدوان».^(٣٢). ودعا «الأمة إلى الوقوف بحزم وبذل أقصى إمكاناتها ضد البربرية الإسرائيلية المغطاة أمريكياً ودولياً لوقف المجزرة القائمة ومنع استفراد الفلسطينيين واستباحة دمائهم مثلماً رأينااليوم في مشهد دموي مرؤع يشكل إدانة للمؤسسات والأطراف الدولية والعربية التي لا تحرك ساكناً لمنع المجزرة، بل هي شريكة في منع حصول الشعب الفلسطيني على وسائل الدفاع عن النفس والصمود في وجه العدوان». وهاجم نصر الله في خطابه بعض الأنظمة العربية وقال إنها متواطئة مع إسرائيل في هذا الهجوم أنها لا تدعم هذا الهجوم فقط بل وتطالب به أيضاً للقضاء على حركة حماس كمطالبتها في حرب

وطالبتها بالاستجابة لإرادة الشارع في «تكوين موقف أردني صلب يرفض العدوان، ويقطع العلاقات معه ويعمد إلى إعداد وتعبئة الشباب من أجل حماية الأردن». وشدد بيان صدر عن مجلس شورى الحركة عقب اجتماع طاري لتدارس وقائع العدوان على قطاع غزة على أن العدوان يشكل «أخطر حلقة في مسلسل تصفيّة القضية الفلسطينية»، ويهدف إلى «القضاء على المقاومة التي تشكل عقبة كأداء أمام الأطماع الصهيونية العدوانية الحاقدة». واعتبر أن العدوان يأتي في سياق «مؤامرة دولية تنفذها العصابات الصهيونية، بالتعاون مع بعض الدول الكبرى وعلى رأسها الإدارة الأمريكية الbagia، وبعض الدول العربية والسلطة الفلسطينية استجابة لمطامع المشروع الصهيوني الأمريكي في السيطرة على المنطقة كلها وإعادة رسم خريطةها، بما يحفظ سيادة الكيان المحتل وأمنه واستقراره على حساب شعب فلسطين المشرد من أرضه ودياره». وأعلنت الحركة رفضها المبادرة «الصهيونية الملعنة باسم المبادرة المصرية والفرنسية، باعتبارها تقدم مكافأة للعدوان الصهيوني الهمجي بإنجازات سياسية على أرض غزة المحاصرة، ورفض وجود قوات دولية على أرض غزة».^(٢٧). وأعرب الشيخ همام سعيد عن استيائه لعدم استجابة الحكومة لمطالب الأردنيين الذين خرجوا بمئات الآلاف للتعبير عن رفضهم بقاء العلاقات «الآثمة مع العدو الصهيوني على الرغم من تفاقم فظاعة مشاهد المحرقة الصهيونية إلى مستويات لا يمكن لبشر قبولها». ودعا المراقب العام للإخوان المسلمين إلى «فضح المؤسسات والشخصيات التي تصر على مواصلة التطبيع»، وطالب الحكومة باتخاذ إجراءات من شأنها وقف التطبيع رسميًا مع إسرائيل، وقال إن المجازر الإسرائيلية في قطاع غزة «ستلزم موقفاً حقيقياً مؤثراً تنهي ذيل العلاقة مع الكيان الصهيوني فضلاً عن إغلاق سفارته بعمان».^(٢٨). كما زار وفد من الأحزاب والنقابات السفارة التركية في عمان؛ حيث سلموا السفير التركي رسالة تثني على الموقف التركي الداعم للقضية الفلسطينية، كما زار وفد من حزب جبهة العمل الإسلامي السفارة النرويجية وسلموا السفير هناك رسالة شكر للموقف الشعبي النرويجي المتضامن مع الشعب الفلسطيني.^(٢٩). ويمكن القول إن هذا الوفد بذلك قد حاول دفع الجهات الرسمية الأردنية لاتخاذ مواقف مشابهة.

المستوى الثاني: التفاعل الرسمي، ونرصد خلاله تفاعل الحكومات مع العدوان على غزة عبر التصريحات والخطب السياسية المهمة لمسؤولي ومتخذي القرار في هذه البلدان، بما تعكسه هذه الخطب من موقف إيجابي - بما تطرحه من مساعدات معنية و Mayer لأهل وأرض غزة - أو سلبي باستمرار موقف التخاذل في التعامل مع الاحتلال والعدوان الغاشم.

العربي والإسلامي، وقال الأسد في لقاء خاص مع «بي. بي. سي» في دمشق: «إن أثر الحرب أكثر خطورة من الحرب نفسها، إنه يبذر بنور التطرف والإرهاب في المنطقة». وأبدى تأييداً لإنهاء تهريب الأسلحة إلى الفلسطينيين في غزة من مصر، لكنه قال إن هذا جزء من «حل أشمل» للصراع في الشرق الأوسط، وليس بالضرورة لوقف عاجل لإطلاق النار، داعياً إلى إنهاء العمليات العسكرية الإسرائيلية في غزة، كما يجب أن يتوقف إطلاق الصواريخ كذلك. وأضاف الأسد أنه لكي يتوقف المسلحون الفلسطينيون عن إطلاق الصواريخ على إسرائيل، فإنه يجب على إسرائيل الاحترام الكامل لوقف إطلاق النار، وإنهاء حصارها لقطاع غزة، مؤكداً أن السياسة الداخلية الإسرائيلية أفرزت حكومات ضعيفة غير قادرة على الوفاء بعملية السلام، وأن إدارة الرئيس الأمريكي بوش فشلت في لعب دور الوسيط المطلوب^(٢٤).

كما أكد نائب الرئيس السوري فاروق الشرغ أهمية تعزيز العمل بين سوريا وفرنسا من أجل إنهاء الحصار المفروض على قطاع غزة، بما يؤمن للشعب الفلسطيني حقوقه في ممارسة حياته بعيداً عن الاحتلال والعدوان.

وقال بيان لمكتب نائب الرئيس إن التأكيد جاء خلال اجتماع الشرع مع مبعوث الرئيس الفرنسي عضو مجلس الشيوخ رئيس جمعية الصدقة الفرنسية السورية الزائر فيليب ماريني^(٢٥).

وفي كلمته في قمة الدوحة قال الرئيس الأسد . «أيها الإخوة: نحن أمة سلام وأخلاقنا الوطنية والعربية والإنسانية بُنيت على السلام، ولأننا كذلك حاولنا أن نتناسى أن هناك مذبحة دير ياسين وكفر قاسم وجنين وقانا الأولى والثانية وغيرها الكثير من المجازر الإسرائيلية بحق العرب، ولكن إسرائيل تصر على تذكيرنا بحقيقةتها.. . وبما أننا أصحاب ذاكرة غنية لأننا أهل التاريخ ومالكو الأرض.. . فسنعدهم بأننا سنبقى نتذكر والأهم من ذلك هو أننا سنحرص على أن يتذكر أبناءنا أيضاً، سنبخّل لهم صور أطفال غزة وجروحهم المفتوحة ودماءهم النازفة فوق ألعابهم، وسنخبرهم عن الشهداء والثكالي والأرامل والمعاقين، وسنعلمهم بأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وأن العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم، وأن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة. وسنشرح لهم بأن من يفقد ذاكرة الماضي سي فقد المستقبل، وسنطلع على جدران غرفهم لوحه نكتب عليها شعاراً لكل طفل عربي قادم إلى الحياة يقول له «لا تنس» ليكبر الطفل ويقول لهم «لن أنسى ولن أغفر». وأضاف الرئيس الأسد: وأؤكد لهم بأن ما يقومون به وما يرتكبونه من جرائم حرب لن ينتج لهم سوى أجيال عربية قادمة أشد عداء لإسرائيل، مناعتتها تتطور وإرادتها

٢٠٠٦ إسرائيل بالقضاء على حزب الله. ودعا نصر الله «الملايين» من الشعب المصري إلى الخروج في مظاهرات لإرغام الحكومة على فتح الحدود المصرية مع غزة. وناشد نصر الله مقاتلي حزب الله اللبناني التخلّي باليقظة والاستعداد لاحتمال هجوم الجيش الإسرائيلي على لبنان.

وقال رئيس كتلة حزب الله النيلية اللبنانية محمد رعد إن «جبهة المقاومة تتسع لكل القوى الوطنية والإصلاحية والديمقراطية والأمية والإسلامية التي تريد أن تقاوم إسرائيل». وشدد النائب رعد على أن «سلح المقاومة حق وواجب مشروع كفلته كل المواثيق الدولية، وأن من يحاول سلب المقاومة هذا الحق يمارس جرماً ويوفر دعماً للإرهاب الصهيوني». وأكد أن حركة «حماس وحركات المقاومة الفلسطينية» خرجت من العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة أقوى مما كانت عليه، ولم يعد باستطاعة أي جهة في العالم تجاهل هذه الحقيقة، مشيراً إلى أن «صمود أهل غزة خير أمّال الصهاينة وأهدافهم المعلنة فلا صواريخ توقفت ولا ضمانات عدم التسلّح أعطيت». وأضاف رعد أنه «بعد حرب تموز (يوليو) (بين حزب الله وإسرائيل) وحرب غزة أكدت المقاومة أنها الخيار الأجدى للدفاع عن الأرض والحقوق ومنع التفريط والتقديمات المجانية للعدو». فقد أكد حزب الله أن العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة يأتي استكمالاً للمشروع الصهيوني أمريكي للقضاء على المقاومة ونهجها في المنطقة، مشدداً على أن ذلك لن يثنى المقاومة ولن يهزّها، ولن يستطيع الاحتلال تغيير الواقع في غزة. وهكذا استمر حزب الله في الدعم المعنوي فقط لحركة حماس وللمقاومة النضالية في لبنان، دون دعمه عسكرياً، وكما أكد البعض ذلك لأن حزب الله وبعد عامين من حرب يوليو ٢٠٠٦ ليس لديه القدرة على تحمل عبء حرب ثانية. أو كما أكد البعض الآخر فإن «حزب الله لا يريد استدعاء خصومه المحليين، ولا يريد تخريب طاولة الحوار التي تتيح له أن يحتفظ بسلاحه، والتي تعتبر أيضاً وسيلة لتأجيل هذه المسألة، في وقت يسعى فيه لبنانيون ونواب في البرلمان مناهضون لسوريا، إلى أن يكون السلاح في يد الدولة فقط، وليس حزب الله الذي تدعمه سوريا وإيران، وحزب الله يرفض بشدة التخلّي عن سلاحه؛ لأنّه يعتبر نفسه حامي لبنان من إسرائيل، ويخشى إذا دخل في حرب جديدة مع إسرائيل أن يعطى خصومه سبباً للمطالبة بنزع سلاحه. فحزب الله يعي تلك المعادلة جيداً، ويعرف أن حرباً ثانية ضد إسرائيل ستكون كارثة على جميع المستويات؛ لذلك فإن احتمالات دعم حماس عسكرياً كانت مستبعدة»^(٢٦).

بـ- التفاعل الرسمي في سوريا:

حضر الرئيس السوري بشار الأسد من أن العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة سيؤجج التطرف والإرهاب في العالم

فلسطينين^(٤١). ودعا إلى «وقف الأجندة الإسرائيليية بـأقصى سرعة»، مؤكداً أن الدول العربية والغربية ستعمل خلال الأيام القليلة المقبلة على «الضغط على الحكومة الإسرائيلية وجيشها من أجل وقف العدوان»^(٤٢). والتقي الملك عبد الله الثاني وفد الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي زارالأردن برئاسة الشيخ يوسف القرضاوي، وبحث معه سبل التحرك لوقف العدوان الإسرائيلي^(٤٣). كما استدعى الملك الأردني رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت وزير الدفاع إيهود باراك لإجراء محادثات سرية حذر خلالها إسرائيل من أي تصعيد في العمليات العسكرية، وقال إن هذه الإجراءات لن تجلب لإسرائيل الأمن الذي تسعى إليه، وأن أي عمل إسرائيلي من جانب واحد سيثير التوتر في المنطقة، وأن مفتاح الاستقرار في المنطقة هو تحقيق سلام فلسطيني إسرائيلي. كما طلب من زعماء إسرائيليين الامتناع عن القيام بعملية عسكرية واسعة النطاق في قطاع غزة^(٤٤). كما اجتمع الملك عبد الله مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس لإجراء محادثات في إطار تكثيف النشاط الدبلوماسي لتجنب مزيد من إراقة الدماء في غزة الذي تسيطر عليه حماس. وأطلع عباس الملك عبد الله على نتائج المحادثات التي جرت في الآونة الأخيرة مع زعماء إسرائيليين من أجل التوصل لتسوية للصراع الإسرائيلي الفلسطيني استناداً إلى حل الدولتين عن طريق التفاوض^(٤٥). ودعا العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني خلال استقباله للأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى إلى حل الخلافات العربية وتنقية الأجواء وتحقيق مصالحة فلسطينية من أجل تحقيق المصالح العربية حسبما جاء في بيان للديوان الملكي الأردني^(٤٦). وأكد «ضرورة تحقيق أعلى درجات التضامن العربي وتنقية العلاقات العربية من كل الخلافات التي تعوق التوصل إلى مواقف عربية فاعلة في مواجهة التحديات السياسية والأمنية والاقتصادية التي تواجه الدول العربية». وأوضح أن «حل الخلافات العربية شرط لخدمة المصالح العربية»، مشدداً على «أهمية البناء على الأجواء الإيجابية التي سادت قمة الكويت بعد كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز التي فتحت الباب أمام المصالحة العربية». من جانب آخر أكد الملك عبد الله «أهمية بذل كل جهد ممكن لتحقيق المصالحة الفلسطينية وتوحيد الصف الفلسطيني خدمةً للمصالح الوطنية الفلسطينية في هذا الوقت الذي يجب أن يشهد تحركاً عربياً دولياً لحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي على أساس حل الدولتين»^(٤٧). كما أكد خلال اجتماعه مع وزير الخارجية البرازيلية سيسو أموريم أن على المجتمع الدولي أن يتحمل مسؤوليته ويفضّل على إسرائيل لتنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي ١٨٦٠ ووقف عدوانها العبثي على قطاع غزة وما يسببه من كارثة إنسانية لا يقبل السكوت عنها، حسب تعبيره. وشدد العاهل الأردني

تتصلب بوتيرة أسرع وبشدة أكثر فتكاً من تطور وقوة ترسانتهم العسكرية. وهذا يعني بمعادلة الواقعية أنه مع كل طفل عربي يقتل يولد مقابله عشرات المقاومين.. وهذا يعني أيضاً أنهم يحفرون بأيديهم قبوراً لأبنائهم وأحفادهم. فلديهم الخيار اليوم ليزرعوا ما يشاءون للمستقبل خيراً أو شراً.. ولكن بعد ذلك لن يكون لهم الخيار في تحديد نوع الحصاد.. فقد زرعوا الدماء ولن يحصدوا غيرها، والنسبة عندما تنضج ستكون أكبر من البذرة التي أنتتها بكثير^(٤٨). كما استقبل الرئيس السوري بشار الأسد رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل وأعضاء المكتب منهَا الشعب الفلسطيني «نصر المقاومة» في غزّة، مؤكداً أن «سوريا ستبقى تدعم الشعب الفلسطيني حتى تحقيق أهدافه الوطنية في دحر الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة وعاصمتها القدس». وشدد الرئيس الأسد على أن «إسرائيل فشلت بتحقيق أهدافها»، مشيراً إلى أن «الانتصار ما كان ليتحقق لولا الصمود الأسطوري للشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة، وأن سوريا قامت بواجبها في دعم الشعب الفلسطيني»^(٤٩).

وأكّدت صحيفة «تشرين» الحكومية السورية «أن قرار مجلس الأمن الدولي الذي دعا إلى وقف إطلاق نار فوري في غزّة جاء مفصلاً حسب الشروط الإسرائيليية» ورأى الصحيفة أن القرار ١٨٦٠ تجاهل المطالب الفلسطينية: لأن إسرائيل استقبلته بمزيد من القتل ومزيد من الوحشية تعصيًّا لتأريخها الحافل بانتهاك القرارات الدولية. واعتبرت أن صدور مثل هذا القرار وعدمه سيان وهو قرار خجول ترك حرية التنفيذ لإسرائيل ودفعه الموقف الأمريكي الذي امتنع عن التصويت، وأسقط من حساباته أي اعتبار لإرادة دولية وترك الباب مفتوحاً لمساندة العدوان الإسرائيلي إلى أن يحقق الهدف الذي لم يعلن عن حقيقته حتى إلا كذرية مضللة للعدوان. وقالت «تشرين» إن «الأحداث تؤكد أن الزمن المُقبل سيجعل ثقافة المقاومة أكثر انتشاراً وأعمق تأثيراً مما هي عليهاليوم»^(٥٠).

جـ- التفاعل الرسمي في الأردن:

على المستوى الإنساني قام الملك عبد الله الثاني بن الحسين بالتربرع بدمه «تضامناً مع جرحى وشهداء غزّة، وليبرهن للعالم أن الأردن يقف مع أشقائه في فلسطين وجرحى قطاع غزّة»^(٥١). كما دعا إلى العمل بشكل فوري على إرسال مساعدات إنسانية وغذائية إلى قطاع غزّة، لرفع المعاناة التي يواجهها أبناء القطاع جراء الحصار الإسرائيلي. وأضاف أن الأردنيين أقرب الناس إلى الشعب الفلسطيني، ونحن جاهزون لمساعدتهم بكل الإمكانيات التي نملك^(٥٢).

وعلى المستوى السياسي حذر ملك الأردن عبد الله الثاني من مؤامرة قال إنها تحاك ضد الشعب الفلسطيني ومستقبل

وإعلاميون أن هذه العلاقات باتت تمثل عبئاً سياسياً وأمنياً على المملكة. إلا أنه لا يمكن مقارنة الموقف الأردني الراهن المستكتر بشدة للعدوان والتضامن مع أهل القطاع بمواقف عربية «متواطئة ومشاركة في العدوان على غزة»^(٥١). وكان هناك اتصالات مع حركة حماس، وقد أكد الوزير والنائب السابق في البرلمان الدكتور عبد الرحيم ملحس أن اتصالات الأردن بحماس تهدف بالأساس لوضع ترتيبات مستقبلية لأي حل للقضية الفلسطينية قد يكون على حساب الأردن». فالأردن متخوف إلى حد كبير من الحل النهائي للقضية الفلسطينية خاصة مع وجود ترتيبات إسرائيلية على الأرض تجعل إقامة دولة فلسطينية أمراً مستحيلاً وبالتالي فإن الحل سيكون على حساب الأردن^(٥٢). وقد نجح برلمانيون أردنيون في توقيع مذكرة قانونية تطلب من الحكومة الخضوع لجلسة نيابية خاصة تبحث في العلاقة بينالأردن وإسرائيل، وجدواها في ظل العدوان على قطاع غزة، واحتمال فرض حلول للقضية الفلسطينية على حساب الأردن عبر إيجاره على دور ما في الضفة الغربية^(٥٣).

المحور الثاني: والذي نحاول من خلاله تحليل وتقييم واقع هذا التفاعل في إطار الرؤية الحضارية.

تعكس محاولة الرصد السابقة للتفاعل غير الرسمي وال رسمي لبعض الشعوب العربية والإسلامية وحكوماتها أن هناك تشابهاً على المستوى الرسمي لسوريا والأردن ولبنان في التفاعل مع الأحداث الأخيرة للعدوان الغاشم في غزة وتشابهاً كذلك بينهم على المستوى غير الرسمي، كما يوجد تشابه كذلك في وجود فارق بين تفاعل المستوى الرسمي مع أحداث غزة ومستوى توقعات ورغبات شعوبهم لهذا التفاعل الرسمي، ويمكن أن نبني ذلك إجمالاً من الرصد السابق على النحو التالي:

- على مستوى التفاعل غير الرسمي فإننا نجد أن شعوب سوريا ولبنان والأردن عبر المظاهرات المتواتلة والقاءات والندوات للنقابات والاحزاب وما يتمخض عن ذلك، إنما تعكس جميعها خمسة مواقف رئيسية ومشتركة، وهي:
أولاً: الاعتزاز بالصمود المناضل المستمر لأهل غزة والشعب الفلسطيني في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي وعدوانه الغاشم، ومن ثم تأكيد ودعم حق المقاومة.

ثانياً: استنكار العدوان الإسرائيلي المتواصل والغاشم على سكان غزة واستنكار المجازر التي ترتكبها قوات الاحتلال والتي حصدت مئات الآلاف من الأطفال والنساء في هذا العدوان.

ثالثاً: استنكار الصمت العربي وتحث حكوماتهم على تسليح المقاومة ودعمها وتجاوز مرحلة الخذلان المستمرة أمام العدو الغاشم ومطالبتهم بقطع العلاقات معه.

على ضرورة بلورة موقف دولي فاعل يلزم إسرائيل بوقف عملياتها ويعالج المسألة الإنسانية في غزة. وأشار إلى ضرورة أن يتبع ذلك بجهد دولي جاد وفعال لحل الصراع على أساس حل الدولتين الذي يضمن قيام الدولة الفلسطينية المستقلة^(٤٨).

وقد حمل الأردن سفراء الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي وسفراء ٢١ دولة معتمدة لديه نقل شجبه واستنكاره وقلقه الشديد لاستمرار العدوان الإسرائيلي الغاشم على قطاع غزة. وقال بيان صدر عن وزارة الخارجية إن الوزير صلاح البشير استدعى السفراء وجدد لهم استنكار بلاده للعدوان. وشدد خلال اللقاء على أن المجتمع الدولي يقع على عاتقه واجب التحرك الجدي والفعال لممارسة الضغط لإجبار إسرائيل على وقف عدوانها فوراً وتنفيذ القرار (١٨٦٠) وفتح المعابر والسماح للمساعدات الإنسانية بالمرور دون أي عوائق أو تهديد وقفص كثيف للمدن^(٤٩).

واعتبرت عقبة ملك الأردن أن التعاطف والتنديد على ما يجري في غزة لا يكفي في مثل هذه الحالة، مذكرة أن غزة بحاجة للدواء والغذاء والمعونة فضلاً عن المأوى للمحتاجين بعد الدمار الذي خلفه الاحتلال في غزة. كما لفتت إلى أهمية الوقوف بجانب المواطنين في غزة خشية أن «تقوم غزة بنسياننا». ودعت الملكة رانيا إلى تفعيل المستوى الدبلوماسي وعدم الاكتفاء بالموقف الإنساني نظراً لقرار المتسبي مرة بعد أخرى وبصور أبشع، مشيرة إلى فشل العرب في إيصال الصورة الحقيقية للقضية الفلسطينية للعالم والمجتمع الدولي^(٥٠).

كما دعا ٢٨ نائباً في البرلمان إلى قطع علاقات الأردن مع إسرائيل وإلغاء معاهدة السلام الموقعة بين البلدين عام ١٩٩٤، فضلاً عن طرد السفير الإسرائيلي في عمان وإغلاق السفارة الإسرائيلية، وذلك يتفق وتصريحات رئيس الحكومة الأردنية نادر الذهيبي بإمكانية دراسة كل الخيارات المتعلقة باتفاقية السلام بين عمان وتل أبيب الموقعة عام ١٩٩٤، كأحد أشكال الضغط السياسي أولاً على إسرائيل وكشكل مطلبي للشعب الأردني على أساس أنها لم تتحقق شيئاً يذكر للبلاد». فقد أكد رئيس الوزراء الأردني نادر الذهيبي أمام مجلس النواب أن الأردن لن يتوانى عن «أي إجراء لتقييم العلاقات مع أي كان وخاصة إسرائيل وإعادة النظر فيها من منطلق الحررص على خدمة مصلحة الوطن العليا». جاء هذا الموقف الحكومي في وقت كانت حناجر الآلاف من طلبة الجامعات الأردنية تهتف على أبواب مجلس النواب، كما أن غالبية نيابية طالبت بقرار فوري بقطع العلاقات مع إسرائيل. وبالرغم من أن الحكومة الأردنية تجاهر بأنها تتقرب في إعادة النظر في العلاقات مع إسرائيل في ضوء تصاعد العدوان على قطاع غزة، في وقت يؤكد سياسيون

أمتنا الإسلامية لها ذاتها الحضارية التي ينبغي التمسك بها أمام محاولات الهيمنة والتبعية الحضارية

بقرارات مجلس الأمن لم يتم أخذ أي تدابير على المستوى القطري لأي من سوريا أو الأردن أو لبنان أو على المستوى العربي المشترك تدفع بالمجتمع الدولي وخاصة القوى الكبرى فيه لمارسة الضغوط الحقيقة على إسرائيل لوقف عدوانها ومحاكمة مجرمي الحرب منهم.

ونظراً لهذا التفاعل الرسمي السلبي، كان الموقف الرسمي في سوريا والأردن ولبنان على السواء بل وعلى المستوى العربي كله غير مرغوب ومرفوض شعبياً وهو الذي يتوقع من الحكومات دوراً كبيراً لأمن الشعب الفلسطيني والأرض المقدسة التي تربط الشعب الفلسطيني بالشعوب العربية والإسلامية رابطة حضارية إنسانية سياسية قيمية، تجعل هذه الشعوب أمة واحدة كالجسد الواحد.

وأن هذا التناقض بين ما ترجوه الشعوب وما تقوم به حكوماتهم على المستوى العربي والإسلامي إنما يعكس الحاجة الملحة لأن تنظر هذه الحكومات في شرعيتها ومصداقيتها أمام شعوبها. فالملوّق العربي المتّخاذ مع القضية الفلسطينية هو الوجه الآخر لعملة وجهها الأول الاستبداد.

رؤى حضارية للتّفاعل مع أحداث غزة:

يمكن لنا أن نقول حقيقة وإن كانت مرة - قد أكدتها الاستاذ الدكتور الراحل حامد ربيع منذ أكثر من عقدين من الزمان قد قالها في تساؤله حول: لماذا لم يستطع الجانب العربي أن يحمي نفسه؟ وكيف تمكنت قوى محدودة الفاعلية من أن تحيل المجتمع العربي حكاماً ومحكومين لأن يصيروا لعبة في أيدي أعدائهم المباشرين والمستورين؟ وعندما نتساءل: لماذا العدوان الإسرائيلي الغاشم المتكرر دون رد؟ ولماذا نستمر في تقديم التنازلات والانخراط المستمر لسفاق المطالب الشرعية على الأرضية المحتلة في حالة من الخضوع والاستسلام والتبعية؟ إنما تمكن الإجابة فيما عبر عنه د. حامد ربيع: «إن السبب الحقيقي في النجاح الإسرائيلي ليس في قدرة أو في قوة الجانب الصهيوني، ولكنه ينبع في حقيقة الأمر من الضعف المخيف والترهل الكامل في خصومة»^(٥٤).

فعندما نحاول أن نجد حركة ملموسة قائمة على تصور دقيق ومحدد لما ينبغي القيام به من أجل ردع العدو الغاشم والحصول على أفضل المكاسب المشروعة، لا نجد حركة ولا نجد تصوراً. ويظل التساؤل: لماذا لا توجد حالة من الحرارة القائمة على تصور محدد وتحقق نتائج ملموسة؟ هل غياب

رابعاً: استنكار الموقف المصري على وجه الخصوص ومطالبه بفتح معبر رفح والسماح للمتطوعين بدخول القطاع لนาصرة المقاومة.

خامساً: انتقاد غياب الرادع الدولي وعجز الأمم المتحدة ومجلس الأمن تحديداً عن مطالبة ودفع إسرائيل للوقف الفوري لعدوانها الغاشم على قطاع غزة ومحاكمة مرتكبي المذابح وقاتل الأطفال والنساء بأسلحة محرمة دولية ك مجرمي حرب، بما قد يردعهم عن ممارسة ذلك بعد، وانتقدوا كذلك موقف الولايات المتحدة الأمريكية المتعاون والمنحاز دائماً إلى إسرائيل وطالبوها بمقاطعة المنتجات والمطاعم الأمريكية.

ومن الجدير بالذكر، أنه بالرغم من الشعور المستمر الذي تعبّر عنه الشعوب في البلدان الإسلامية وخارجها عن التضامن مع أهل الأرض المحتلة خاصة في فلسطين المحتلة والذي يتم التعبير عنه بصورة واضحة عبر برامج الرأي العام إلا أن تفاعلاً شعوباً جاء ليعكس حقيقة مفادها أن هذا التفاعل الشعبي قد أخذ شكل الرفض المعلن والمستهجن للهجوم العدائي الشرس والمرفوض إنسانياً ودولياً على الأرضية المحتلة والذي يتم التعبير عنه غالباً بالظاهرات التي تطالب حكوماتها والمجتمع الدولي بمؤسساته الدولية بالتدخل الحازم لوقف مثل هذا العدوان الغاشم إلا أنه لم يستطع التأثير في القرار السياسي لهذه البلدان وإن أثر على مستوى الخطاب والتصريحات السياسية. وهنا نتساءل ونترك الإجابة لكم: لماذا عدم القدرة على التأثير الحقيقي؟ هل ضعف الحركة الجماهيرية الشعبية والمدنية أم تجاهل القيادات السياسية أم صالح سياسية؟

- وعلى مستوى التفاعل الرسمي نجد أنه ثمة تفاعل إيجابي وسلبي لم يختلف في سوريا عنه في لبنان عنه في الأردن، وقد تمثلت ملامح هذا التفاعل:

أما التفاعل الإيجابي فقد تمثل في استمرار المباحثات واللقاءات الرسمية مع أطراف الصراع الفلسطيني والإسرائيلي وعلى المستوى العربي لبحث محاولات إنهاء الحصار المفروض على قطاع غزة وبحث سبل التعاون مع أهل غزة المحاصر بمحاولات إرسال وإدخال المساعدات الإنسانية والإسعافية والغذائية إلى القطاع.

بينما تمثل التفاعل السلبي في الوقوف عند حدود التعاون الإنساني المتمثل في المساعدات الغذائية والإسعافية بينما لم تتم ترجمة الدعوة إلى عمل عربي مشترك لوضع حد فوري لهذا العدوان إلى وسائل وأاليات تمضي بهذه الدعوة قدماً إلى الأمام. وبالرغم من استنكار العدوان الإسرائيلي، لم يتم قطع العلاقات معه أو تجميدها. وبالرغم من مطالبة المجتمع الدولي خاصة مجلس الأمن، بمطالبة إسرائيل بوقف عدوانها الغاشم وإلزامها

الهؤامش:

(1) <http://www.masrawy.com/News/MidEast/Reuters/2009/January/4/679971>

مظاهرات في لبنان احتجاجاً على الهجوم الإسرائيلي على غزة.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) مظاهرات ومسيرات عربية مستمرة للتضامن مع غزة.

<http://www.islamweb.net/ver2/archive/readArt.php?lang=A&id=148365>

(٥) مظاهرات في لبنان احتجاجاً على الهجوم الإسرائيلي على غزة،
مرجع سابق.

(٦) بيان لقاء الأحزاب والقوى والشخصيات الوطنية اللبنانية
<http://ssnp.net/content/view/8438/125/>

(٧) لقاء قانوني لمقاضاة إسرائيل،
<http://www.assafir.com/Article.aspx?EditionId=1144&ChannelId=26214&ArticleId=2037&Author=>

(٨) الخارجية تستدعي السفير السوري بالقاهرة لاستنكار «مظاهرات دمشق الغوغائية»

<http://www.alsbah.net/mynews/modules.php?name=News&file=article&sid=17684>

(٩) مظاهرة حاشدة في سوريا تنديداً بالحرب على غزة،

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_7817000/7817610.stm

(١٠) المرجع السابق.

(١١) المرجع السابق.

(١٢) الحزب: ما جدوى زيارة بان كي مون إلى لبنان وفلسطين المحتلة؟
<http://ssnp.net/content/view/8469/85/>

(١٣) بيان صادر عن نقابة المحامين في الجمهورية العربية السورية
<http://syriabar.org/arabic/index.php?name=News&op=article&sid=161>

(١٤) تظاهرة في عمان دعماً لغزة والمطالبة بقطع العلاقات مع إسرائيل،
مرجع سابق.

(١٥) تظاهرة في عمان دعماً لغزة والمطالبة بقطع العلاقات مع إسرائيل،
<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/3E8D8112-63B7-4A99-8423-FBE511563FF4.htm>

الحركة هي حالة رفض لبديل الحركة الوعية كبديل لحالة التبعية العميماء؟ هل غياب بديل الحركة الوعية هو ترجمة حقيقة لغياب الإدراك بالذات الحضارية وال الحاجة لحفظها على أنها ذاتها الحضارية على البناء والنهوض؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات ربما تختلف من رؤية لأخرى ومن فرد لأخر، إلا أن الواقع الإنساني يشهد أن كل جماعة بشرية تحمل قيمًا مشتركة ينبغي أن تحافظ عليها وتعمل على استثمار قيمها المادية والبشرية والقيميه في البناء والنهوض وال عمران. وأمتنا الإسلامية لها ذاتها الحضارية التي ينبغي التمسك بها أمام محاولات الهيمنة والتبعية الحضارية، والتي ينبغي معرفة مكامن القوة خلالها للبناء الإنساني والعمري وللتباييس والتفاعل الحضاري في المنظومة الكونية التي استخلف الله عز وجل الإنسان فيها لصلاحها وعمرانها، لا لإفسادها وادعاءات الهيمنة عليها وعلىبني الإنسان. فليس من حق أي حضارة أن تفرض هيمنتها على الإنسان.

إن ما يحدث في الأراضي المحتلة وما يحدث للشعب الفلسطيني والعراقي ومؤخراً في غزة على وجه التحديد، إنما هي محاولات قتل هذه الأمة قتلاً بطيناً عبر مذابح متالية ومتكررة، فما يحدث في غزة ليس بعيداً عما حدث في جنين وغيرها من قبل، وليس بعيداً عما حدث في لبنان وليس بعيداً عما يحدث كل يوم أمام الفوضى الكلامية لغالبية قيادات بلدان هذه الأمة في محاولة منهم لكتب شرعية لدى شعوبهم دون استجابة حقيقة لمطالب هذه الشعوب، التي أثبتت في الأحداث الأخيرة على غزة وعيها الإنساني والحضاري ومحاولاتها تقديم كل العون الإنساني والداعي ليس من أجل حماية هذا الشعب فحسب وإنما لحماية ذاتنا الحضارية.

ومن ثم على قيادات شعوب العالم الإسلامي أن يتوقفوا عن حالة التبعية المستمرة، مع إدراك أن السلام ليس استسلاماً، وأن العالم الإسلامي يزخر بموارده البشرية والمادية والقيميه التي تجعل منه فاعلاً حضارياً وليس تابعاً استسلامياً لحاله الهوان والعدوان المستمر وبغير حساب. على قيادات شعوب العالم الإسلامي أن يستجيبوا لمطالب الشارع العربي الإسلامي بتعاون جماعي مشترك مستمر ومتواصل يمثل قدرة ذاتية وقوة عادلة غير متعددة وغير مستسلمة تعكس إمكانية تواجه حركة واعية، تهزم وتزدزع محاولات العدوان علينا وتحفظ لهذه الأمة ذاتها وجودها وتفاعلها الحضاري، والذي لا يتعارض بأي حال من الأحوال مع المصالح السياسية.

(٣٢) حزب الله يندد بـ«التواطؤ العربي» على غزة وتظاهرات أمام السفارة المصرية في بيروت

http://www.google.com/hostednews/afp/article/ALeqM5hl709-Ipc9a917GtL_fBxzhd-AXg

(٣٣) المراجع السابق.

(٣٤) بشار الأسد يؤيد إنهاء تهريب الأسلحة إلى غزة.. ووقف إطلاق الصواريخ الفلسطينية،

<http://www.almasry-alyoum.com/article2.aspx?ArticleID=195022>

(٣٥) الشرع يؤكد أهمية العمل مع فرنسا لإنهاء حصار غزة

<http://www.elaph.com/Web/Politics/2009/1/403517.htm>

(٣٦) <http://www.qatar-conferences.org/gaza/speeches/speech3.doc>

(٣٧) الرئيس السوري يستقبل مشعل

<http://www.alghad.jo/?news=391273>

(٣٨) سوريا: قرار مجلس الأمن جاء حسب الشروط «الإسرائيلية».

<http://www.alkhaleej.ae/portal/185651e2-44d7-4211-a3c6-6ce04e0f73c5.aspx>

(٣٩) ملك الأردن يتبرع بالدم لأبناء غزة

<http://www.videoal3rab.com/showthread.php?s=66ff39711a27aaa1f22a3c62ca94dada&p=101417#post101417>

(٤٠) الأمم المتحدة تحذر من الوضع في غزة والأردن ترسل مساعدات

<http://fatehforums.com/showthread.php?t=165263>

(٤١) ملك الأردن يحذر من مؤامرة ضد الشعب الفلسطيني

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/11C8F137-DECD-48AF-8925-871F2D05AB47.htm>

(٤٢) المراجع السابق.

(٤٣) المراجع السابق.

(٤٤) ملك الأردن يحث إسرائيل على تقاضي عملية عسكرية بغزة

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/47533FF1-8CC6-40C2-A695-E345DD5A20C1.htm>

(٤٥) المراجع السابق.

(٤٦) يوم التضامن الأردني مع غزة ينتهي باشتباكات مع الأمن، مرجع سابق.

(٤٧) يوم التضامن الأردني مع غزة ينتهي باشتباكات مع الأمن <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/45385E03-5617-4D45-B38A-DBDAE268C38B.htm>

(٤٨)الأردن يلوح بالقطيعة مع إسرائيل لكنه بحاجة لاستناد عربي

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/B3434054-90EC-44DF-B119-C8BBCC78D918.htm>

(٤٩) المراجع السابق.

(٥٠) المراجع السابق.

(٥١) أجندة دعم غزة-الأردن. <http://askadenia.net/907.html>

(٥٢) المراجع السابق.

(٥٣) المراجع السابق.

(٥٤) المراجع السابق.

(٥٥) تواصل حملات الدعم والتضامن مع الأهل في غزة الجريحة

http://www.addustour.com/ViewTopic.aspx?ac=%5CLocalAndGover%5C2009%5C01%5CLocalAndGover_issue474_da_y24_id112115.htm

(٥٦) المراجع السابق.

(٥٧) الأردن: الحركة الإسلامية تطالب الأنظمة بإيقاف السلاح للمقاومة الفلسطينية

<http://www.alarab.com.qa/details.php?docId=69077&issueNo=385&secId=15>

(٥٨) تظاهرة في عمان دعماً لغزة والمطالبة بقطع العلاقات مع إسرائيل، مرجع سابق.

(٥٩) المراجع السابق.

(٦٠) رئيس الجمهورية ميشال سليمان ندد بالاعتداء على غزة: الجنوب ليس منصة لإطلاق الصواريخ فمن يحترم لبنان عليه احترام التزاماته الدولية وتحديداً القرار ١٧٠١

<http://psp.org.lb/Default.aspx?tabid=107&articleType=ArticleView&articleId=22586>

(٦١) مظاهرات حاشدة أمام سفارة مصر في بيروت،

<http://www.assafir.com/Article.aspx?EditionId=1144&ChannelId=26214&ArticleId=1945&Author=>

44b1-9613-1ef015cf5b57.aspx

(٥٠) الأردن وحماس يستأنفان اتصالاتهما وحديث عن تحالف تكتيكي

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/0968531C-066C-41BC-A0D2-FEA8A5E4FD12.htm>

(٥١) الأردن يلوح بالقطيعة مع إسرائيل لكنه بحاجة لإسناد عربي، مرجع سابق.

(٥٢) المراجع السابق.

(٥٣) المراجع السابق.

(٥٤) د. حامد ربيع، نظرية الأمن القومي العربي والتطور المعاصر للتعامل الدولي في منطقة الشرق الأوسط، دار الموقف العربي، . ١٩٨٤

(٤٦) الملك عبدالله الثاني يدعو لحل الخلافات العربية وتحقيق مصالحة

فلسطينية

<http://www.albawaba.com/ar/news/opinion/293766>

(٤٧) المراجع السابق.

(٤٨) العاهل الأردني يدعو إلى الضغط على إسرائيل لوقف عدوانها العبثي على غزة،

http://www.ahrarnews.com/index.php?option=com_content&view=article&id=95:2009-01-13-16-16-19&catid=11:2009-01-08-16-40-15&Itemid=16

(٤٩) الأردن يطالب المجتمع الدولي بالضغط على الكيان لوقف العدوان

<http://www.alkhaleej.ae/portal/9b8d531b-bc31->

